المجاز اللغوي في بعض أدعية الصحيفة السّجادية

أ.م.د. ماجدة فاخر شامخ

مديرية تربية الرّصافة الأولى/ ثانوية الأمل للمتميزات

الملخص:

لم تكن الصحيفة السجادية خافية أو بعيدة عن أيدي طلّاب العلم المعرفة ، فهي غنية عن التعريف مثلما نهج البلاغة ، فقد تسامت أدعيتها وتألقت بالمعاني التربوية والتهذيبية والدّينية ، أدعية ذات مضامين عدّة لم تقتصر على المرامي التي ذكرت وإنّما زخرت أيضًا بالصّور الأدبية المتنوعة ؛ صور ذات حبكة ونسج راقيين ولاسيّما الصور المجازية التي نضحت بالمعاني السامية العذبة لدى المتلقي ، سواء في المجاز المرسل أو في المجاز الاستعاري ، ففي الأوّل نجد تنوع العلاقات بين معاني الألفاظ المجازية والأصلية ، بين الجزئية والمسببية واللزومية والحالية وغيرها . وكذلك في المجاز الاستعاري ؛ فإنّنا نجد معظم الاستعارات جاءت متعانقة الطرفين لتعطي قوة في التلازم بين المشبّه والمشبّه به فتتناثر المعاني منتقلة ممّا وراء الألفاظ إلى حواس المتلقي فهي بظنّه تتناغم مع ما يختلج في صدره فكأنّما تتحدّث بلسان حاله.

الكلمات المفتاحية: (المجاز اللغوي، أدعية الصحيفة السّجادية).

Linguistic metaphor in some of Sahifa al-Sajjadiya's supplications

Dr. Magda Fakher shamikh

Al-Rusafa First Education Directorate/Al-Amal Secondary School for Distinguished Girls

Abstract:

Al-Sahifa al-Sajjadiyah was not hidden, as it is well-known. As her supplications transcended and sparkled with educational, edifying and religious meanings, supplications with many contents that were not limited to the goals mentioned, but were also replete with various literary images. Images with a sophisticated plot and weaving, especially the metaphorical images that exuded sublime and sweet meanings

for the recipient, whether in the sent metaphor or in the metaphorical metaphor. In the first, we find the diversity of relationships between the meanings of metaphorical and original words, between the partial, the causal, the immanent, the present, and others. As well as in metaphorical metaphor; We find that most of the metaphors come together to give strength to the connection, so the meanings are dispersed, moving beyond the words to the senses of the recipient.

Keywords: (linguistic metaphor, Sahifa al-Sajjadiyah supplications).

مقدمة:

يعدّ المجاز من أبرز ألوان البيان في البلاغة العربية ؛ إذ لا يكاد يخلو منه كلام أو قول ، بل ذهب بعضهم إلى أنّ معظمّ ما نتفوّه به هو كلام مجازي . والمجاز مضاد للحقيقة أو ملامس لبعضٍ منها ، ويأتي على صور وأوجه عدّة حفلت بها الجملة العربية ، فنجدها في التراث العربي الخالد قديمًا وحديثًا ؛ شعرا ونثرا ، فضلًا عن حضورها في القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال آل البيت عليهم السلام وأدعيتهم ، منها أدعية الإمام السجّاد عليه السلام المعروفة بـ (الصحيفة السّجادية) ، وهي مجموعة أدعية الإمام زين العابدين علي بن الحسين السّجاد عليهما السّلام ، أدعية ذات مضامين عالية بما فيها من تزكية وتهذيب ، فضلًا عمّا تتضمنه من أدب الدعاء والنجوى، وكذلك فإنّها تعدّ من أرقى النصوص الأدبية والدينية . فقد تضمّنت صورًا بلاغية متنوعة ذات نسج وحبكة عاليين ، ولاسيّما الصور المجازية ، التي ستتبين لنا من سطور البحث القادمة .

أمّا عنوانها فقد كانت تعرف بالدّعاء الكامل ثمّ الصّحيفة الكاملة ، ثم أصبحت معروفة بالصّحيفة السّجادية ، بحسب ما ذكره السّيد محمد حسين الجلالي في تقديمه للصّحيفة

[١].(ينظر : الصّحيفة : ١٤)

المجاز في اللغة والاصطلاح

المجاز في اللغة مشتق من الفعل (جاز) بمعنى عبر ، ويقال : جاز فلان الطريق جوازا ، وجازه وجاوزه وأجازه ، أي : سار فيه وسلكه ، والمجاز : الموضع ، والمجاز أيضا : اسم للمكان الذي يجاز

فيه ، وهو الانتقال من موضع إلى آخر[٢] (ينظر : لسان العرب لابن منظور : جوز) . وقد أُخذ هذا المعنى واستعمل للدلالة على نقل الالفاظ من معنى إلى آخر [٣] .

أنواع المجازات

المجاز نوعان : عقلي ولغوي ؛ أمّا الأوّل فهو المجاز الذي يستمد مقوماته من التراكيب والجمل أي أنه يخرج عن دائرة المفردات بتناوله المعنى والمعقول ويسمى أيضا المجاز الاسنادي[٤] (ينظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ج٢ص٣٦) .

وأمّا الآخر : فإنّه يستمدّ مقوماته من المفردات من دون الجمل [٥](ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي : ١٧٢) ، ويسمى المجاز اللغوي – موضوع البحث – وهو قسمان : قسم يعود إلى معنى الكلمة ، فتكون العلاقة بين ما استعمل فيه اللفظ وما وضع له أصلًا تكون علاقة ملابسة لا علاقة تشبيه[٦] (ينظر : الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ٢٠٥) ، ويدعى بالمجاز المرسل وسمي بذلك لأنّه غير مقيّد بعدد معين من الملابسات ، ولعلّ السّكّاكي أوّل من سمّاه مرسلًا (ينظر : مفتاح العلوم : ١٩٥) ، ويأتي هذا النّوع بصور عدّة ذكرتها معظم كتب البلاغة العربيّة ، فتتمثّل بحسب العلاقة بين دلالة اللفظ الأصلية ودلالته المجازية .

ويدعى القسم الآخر : المجاز الاستعاري أو الاستعارة ويراد به : ((استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها))[٧] (البديع لابن المعتز : ٢٢) . وهذا المجاز مقيد بالمشابهة ، فيأتي متعكزا على أحد طرفي المشابهة فإذا حضر المشبه وغاب المشبه به فالاستعارة مكنية ، وإذا حضر المشبّه به وغاب المشبّه فالاستعارة تصريحية .

وقد وضع البلاغيون المتأخرون فروعا لهذا النّوع من المجاز بحسب لوازم طرفي التشبيه ، فهي استعارة مرشحة أو مجردة أو مطلقة [٨]: (ينظر : حسن التوسل إلى صناعة الترسل للحلبي : ١٣١وما بعدها ، والإيضاح : ٢٢٨ ، وعروس الأفراح : ج٢ ص١٧٥وما بعدها ، وخزانة الأدب للحموي : ج١ ص١١١وما بعدها) ، وسأقف عند معانيها في موضوع الاستعارة .

المجاز المرسل

علاقاته

ذكر البلاغيون المتأخرون أنّ علاقات المجاز المرسل تتسع وتتلون من غير أن تتقيد بعدد [٩](ينظر : مفتاح العلوم : ١٧٠ ، والإيضاح : ٢٠٧ وما بعدها ، وعروس الأفراح : ج٢ ص١٣٣وما بعدها) ، ومنها – ممّا ورد في الأدعية السجّادية – :

العلاقة الجزئية

وهي أن يذكر جزء الشيء والمراد كله (ينظر : الإيضاح : ٢٠٧)، منها قوله عليه السلام في الدعاء الثاني : **((ويامن لا تنتهي مدة ملكه اعتق رقابنا من نقمتك))** [١٠] (الصّحيفة :٢٩٩) أي اعتقنا وانقذنا من عقوبتك ، فذكر الجزء وهو (الرقاب) والمراد الكلّ هو (العبد) .

وشبيه بذلك قوله في الدّعاء التّاسع في دخول شهر رمضان : **((اللهمّ وإنّ لك في كلّ ليلة من ليالي شهرنا هذا رقابًا يُعتقها عفوك من العذاب ، فاجعل رقابنا من تلك الرّقاب))** [١١](الصّحيفة : ٣٤٩) ، فالمراد بالرّقاب هم العباد . وقد تردّد هذا المعنى في مواضع عدّة من الصحيفة [١٢] (ينظر : الصّحيفة : ٣٨٠) . وهو تعبير قرآني ؛ منها قوله تعالى : **((ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة))**[١٣](النساء : آية ٩٢) ، وقوله تعالى : **((وما أدراك ما العقبة فكّ رقبة))**[١٤] (البلد : آية : ١٢)

وفي الدّعاء العاشر وهو في الإخلاص والطّلب إلى الله تعالى دون خلقه قال : **((اللهمّ إنّي أخلصت انقطاعي إليك ، وأقبلت بكلّي عليك ، وصرفت وجهي عمّن احتاج إلى رفدك))**[١٥](الصّحيفة : ٣١٩) ، فقد ذكر الوجه وهو جزء وأراد الكلّ ، كأنّ المراد (صرفت توجهي عن خلقك وملت إليك) ، وقد تقدّم ما أراد بعبارة (وأقبلت بكلّي) .

ومن دعائه عليه السلام إذا تضرع وهو الدعاء الرابع والعشرين ، قال : **((قد ترى يا إلهي فيضان دمعي من خيفتك ، ووجيب قلبي من خشيتك ..... كلّ ذلك حياء منك لسوء عملي ، ولذلك كلّ لساني عن مناجاتك ، وخمد صوتي عن الجؤور إليك))** [١٦] (الصحيفة : ٣٧٨) وكلّ : تعب ، وليس اللسان فقط ناله التعب من المناجاة وإنّما كان ذلك الجزء دليل على أنّ التعب ناله كله ، وتتجلى في هذا النّص – كسابقاته – بلاغة عالية وتصوير جميل لمناجاة العبد المنقطع في دعائه لله طلبا لرضاه ومغفرته حتى كلّ لسانه وخمد صوته ، وذلك لا يكون إلا بتعب الجوارح كلّها .

العلاقة السببية

وهي أن يذكر السبب ويراد به المسبب أو النّتيجة [١٧]، (ينظر : الإيضاح : ٢٠٨) ؛ مثل قوله عليه السلام في الدّعاء السادس والثلاثين : **((اللهمّ اجعل لي يدًا على من ظلمني))**[١٨] (الصّحيفة : ٤١٩) ، المراد هو القدرة والقوّة وهما مسبب أو نتيجة ، واليد سبب لهما ، ويقال العكس أن القدرة والقوة هما سبب واليد مسبب فلا يوضع إلّا بها [١٩](ينظر : عروس الأفراح : ج٢ ص١٣٧) .

العلاقة المسببية

وهي بخلاف العلاقة السببية ؛ إذ يذكر المسبب أو النتيجة والمقصود هو سببه الذي كان علّة فيه [٢٠]، (ينظر : الإيضاح : ٢٠٨) كقوله عليه السلام في الدّعاء الثاني : **((اللهمّ إنّك من واليت لم يضرُرْه خذلان الخاذلين ومن أعطيت لم ينقصه منع المانعين ..... فامنعنا بعزّك من عبادك..... واسلك بنا سبيل الحقّ بإرشادك))**[٢١] (الصحيفة : ٣٠١) يريد بـ (سبيل الحق) السّراط المستقيم فذكر المسبب وهو (سبيل الحق) وأراد السبب لأن سبيل الحق لا يكون إلا باتباع السّراط المستقيم .

ومنها قوله عليه السلام في الدّعاء الثالث : **((ونعوذ من الحسرة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، ومن الشقاء الأشقى ، ومن سوء المآب ، وحرمان الثّواب وحلول العقاب))** [٢٢] (الصّحيفة : ٣٠٤) ؛ إذ ذكر النتيجة أو المسبب وهو الحسرة والمصيبة والشّقاء والحرمان ، وأراد السبب وهو رؤية العذاب يوم القيامة ، فالعذاب سبب لحصول الحسرة والمصيبة والشّقاء . وقد يحصل للإنسان حسرة وندامة ومصيبة وحرمان في الدّنيا ، ولكنها أمور زائلة بزوال الدنيا لا تقاس بمثيلاتها في الآخرة ، لذلك وصفها عليه السّلام بأنها أعظم وأكبر وأشقى لحرمان العبد حينها من الثواب ومن النّعيم فيتعرض للعقاب ويحل به العذاب ، وهي حسرات ومصائب باقية دائمة إلى ما شاء الله .

وفي الدّعاء الحادي والثلاثين – إذا دُفع عنه ما يحاذر– قال : **((...وان يكن ما ظللتُ فيه أو بتّ من هذه العافية بين يدي بلاء لا ينقطع ، ورزء لا يرتفع ، فقدّم لي ما أخّرت ، واخّر عنّي ما قدّمت....))**[٢٣] (الصّحيفة : ٤٠٣) ، فقوله : ظللت فيه مسبب لحلول النّهار والمراد هو الأخير لأنّه سبب للظل ، وكذلك قوله : (بتّ) فإنّه مسبّب ونتيجة لحلول الليل والأخير هو المقصود لأنّه سبب الإقامة والبيتوتة . والمعنى هو أن العافية التي أنعم بها في أيام حياتي الفانية عافية معجلة قد تكون سبب في فوات الأجر الآخروي وهو أجر عظيم دائم لا ينقطع ، ومن ثم تكون النعمة العاجلة سبب

في شقائي في الحياة الآجلة الباقية ، وفي ذلك إشارة إلى أنّ النعيم الآخروي والسّعادة لا ينالان إلّا بالتّحمل والصبر على البلاء وألّا يتعجل نعيم الدنيا الفانية .

وفي دعائه إذا نظر إلى السحاب والرّعد – الدّعاء الثاني والثلاثون – قال عليه السّلام : **((اللهمّ إنّ هذين عونان من أعوانك ، يبتدران طاعتك برحمة نافعة أو بنقمة ضارّة ، فلا تمطرنا بهما مطر السّوء ، ولا تلبسنا بهما لباس البلاء))** [٢٤]، (الصّحيفة : ٤٠٣ – ٤٠٤) فالسحاب يبتدر طاعة ربّه بالمطر ، فإن حصل الخير منه فهو رحمة ، **وإلّا** فهو نقمة . وقد ذكر المسبب وهو النفع والضرر ، **وأراد** السبب وهو المطر . ومثل ذلك قوله : **((اللهمّ أنزل علينا نفع هذه السّحابة وبركتها ، واصرف عنّا أذاها ومضرّتها))**[٢٥] **.(الصّحيفة : ٤٠٤)**

ومنها قوله : **((وأشرفتُ على خوفِ لقائك فلا مسكّن لرهبتي ، ومن يؤمنني وأنت أخفتني ؟، ومن يساعدني وأنت أفردتني ؟، ومن يؤيدني وأنت ضعّفتني ؟))**[٢٦] (الصحيفة : ٤٢٨) فقد أراد بقوله (وأشرفت على خوف لقائك) الموت وهو سبب الخوف والرّهبة ، وما ذكره في الدّعاء هو المسبب .

<u>تسمية الشيء باسم آلته</u>

وهو التعبير عن الشيء بذكر آلته ، من مثل قوله عليه السلام في الدعاء الثاني : **((.... واجعل سلامة قلوبنا في ذكر عظمتك ، وفراغ أبداننا في شكر نعمتك ، وانطلاق ألسنتنا في وصف مننك))** [٢٧]، (الصّحيفة : ٣٠١) فالمراد باللسان في العبارة الأخيرة هو الذّكر أو الوصف مثلما ورد ، فأتى به لأنّه آلة الذّكر .

ومثل ذلك قوله في وداع شهر رمضان من الدعاء العشرين : **((... واعف عنا بعفوك ، ولا تنصبنا فيه لأعين الشامتين ، ولا تبسط فيه علينا ألسن الطاعنين ...))**[٢٨] (الصّحيفة : ٣٥٧) ، فالشامتون والطّاعنون يلحقون العبد بأبصارهم ويقرعونه بكلامهم فيكون نصبا لها ، فهو يلوذ بربّه داعيا لائذا به منهم ، فذكر العين لأنّها آلة البصر والإدراك ، وذكر اللسان لأنّه آلة الحديث .

ومنها قوله عليه السلام في الدّعاء السادس والثلاثين : **((اللهمّ اجعل لي يدًا على من ظلمني))**[٢٩] (الصّحيفة : ٤١٩) ، المراد باليد : القدرة والقوّة ، واليد آلتهما ، فذكرها لدلالة على وهي سبب لهما والقدرة والقوّة نتيجة ومسبب ، فذكر السبب (اليد) وأراد المسبب .

<u>العلاقة الحاليّة</u>

وهي أن يذكر ما يحل في المكان ، والمقصود هو المحل والمكان [٣٠] ، (ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : ج٣ ص٢١٥) .

منها قوله عليه السلام في الدّعاء الثالث : ((... **ونعوذ من الحسرة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، ومن الشقاء الأشقى ، ومن سوء المآب...**))[٣١] (الصّحيفة : ٣٠٤) ، فالمراد بسوء المآب هو النّار ، فهي محل الشقاء والسّوء ، فذكر الحال وأراد المحل .

وكذلك قوله عليه السلام في الدّعاء السّابع والعشرين : ((**فمتعنا بثروة لا تنفد ، وأيّدنا بعزّ لا يُفقد ، واسرحنا في ملك الأبد ، إنّك أنت الواحد الأحد ، الفرد الصّمد...**))[٣٢] (الصحيفة : ٣٩٣- ٣٩٤) ، فقوله : واسرحنا في ملك الأبد ، يريد به النعيم الدّائم الخالد ، وهذا هو حال أهل الجنة ، فذكر الحال وأراد المحل الذي هو الجنة .

ومنها قوله في الدّعاء الرّابع والأربعين : ((**اللهمّ صلّ على محمد وآله ، وارزقني سلامة الصّدر من الحسد حتى لا أحسد أحدا من خلقك على شيء من فضلك ....**))[٣٣] (الصّحيفة : ٤٥٢- ٤٥٣) ، فالمراد بسلامة الصّدر هو الفؤاد الّذي يحويه الصّدر فذكر الحال وأراد المحل ، - وفي هذا الدّعاء مظهر مجازي محلي أيضا سأذكره في موضعه - .

العلاقة المحليّة

وهي على عكس العلاقة الحالية ؛ إذ يذكر فيها المحل والمراد هو الحال[٣٤].(ينظر : الايضاح : ٢٠٩) منها قوله في الدّعاء الرّابع والأربعين : ((**اللهم صلّ على محمد وآله ، وارزقني سلامة الصّدر من الحسد حتى لا أحسد أحدا من خلقك على شيء من فضلك ....**))[٣٥] (الصّحيفة : ٤٥٢- ٤٥٣) ، فالمراد بالصّدر لا الصّدر نفسه وإنّما ما يحويه الصّدر وهو القلب أو الفؤاد ، فذكر المحل (الصدر) وأراد الحال (القلب) .

الخصوص

وهو أن يذكر اسم الخاص ويراد به الاسم العام ، منها قوله عليه السّلام في طلب السّتر عليه - وهو من الدّعاء الحادي عشر - : ((**اللهمّ افرش لي مِهادَ رحمتك ،وأوردني مشرع كرامتك ، واحللني بحبوحة جنتك**))[٣٦] (الصّحيفة : ٣٢١ - ٣٢٢) ، فقد ذكر الخاص المتمثل بالألفاظ : (مشرع) و(بحبوحة) والمراد هو العام ؛ الكرامة ، والجنة .

الملزوميّة

وهي الاتيان بالملزوم للدلالة على اللازم [٣٧](ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : ج٣ ص٢١٤) ، منها قوله عليه السّلام في دعائه إذا ظُلم وهو الدّعاء الثالث والعشرين ؛ إذ قال : **((قد علمتَ يا إلهي ما نالني به فلان ابن فلان ..... اللهم فخذه عن ظلمي بعزتك ، وافللْ حدّه عنّي بقدرتك ، واجعل له شغلا فيما يليه ، وعجزا فيما يناويه))**[٣٨] (الصّحيفة : ٣٧١) الشاهد هو قوله : (وافلل حده عنّي) يريد ازح قوّته عني ، وحدّه : سيفه ، وافلل : اكسر ، أي : اكسر سيفه . ولمّا كان الحدّ ملازمًا للسيف ذكر اللازم وأراد الملزوم .

وقد تضمّنت العبارة (افلل حدّه) أيضًا مجازا استعاريا زيادة على أنّها مجاز مرسل ؛ وقد أشرت له في موضعه في ضمن الاستعارة التصريحية (ينظر : ص١٦)

اعتبار ما سيكون في المستقبل

وهو أن يذكر اسم الشيء بما سيكون عليه لاحقا ، ويسمى ايضا الاستعداد[٣٩] ، (ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : ج٣ ص٢٠٨)

قال عليه السّلام في الدّعاء التاسع والعشرين : **((اللهم متعنا بمثل ضلالته من الهدى ، وزودنا ضد غوايته من التقى ، واسلك بنا خلاف سبيله من الرّدى .....))**[٤٠] (الصّحيفة : ٣٩٨) ، فذكر ما سيؤول إليه حال من يسلك سبل الضلالة والغواية ، وهو الشّيطان فنهايته الهلاك ودخول النّار . فالهلاك أو الرّدى هو اعتبار ما سيكون .

ومنها قوله : **((.... فلا مسكّن لرهبتي ، ومن يؤمنني وأنت أخفتني ؟، ومن يساعدني وأنت أفردتني ؟، ومن يؤيدني وأنت ضعفتني ؟))**[٤١] (الصحيفة : ٤٢٨) ، فقوله لا مسكن لرهبتني وأنت أفردتني ؛ علاقة اعتبارية ؛ اعتبار ما يكون في المستقبل بعد الموت ، فهو ما زال في الحياة وما يتحدّث عنه بعد الممات أو في الحشر ، ولعلّه إشارة إلى قوله تعالى : **((وكلّهم آتيه يوم القيامة فردا))** [٤٢](مريم : ٩٤)

المجاز الاستعاري

وهو نوعان : استعارة مكنيّة واستعارة تصريحية ، وقد مرّ تعريفهما في أوّل البحث ، ولم يكتف المتأخرون بذكر هذين النوعين فنظروا إلى ما يناسب أحدهما أو كليهما معًا من غير متعلقاتهما

الكاشفة عن طبيعة الاستعارة ، فقسموها إلى أقسام عدّة منها [٤٣]: (ينظر : حسن التوسل : ١٣١وما بعدها ، والإيضاح : ٢٢٨ ، وعروس الأفراح : ج٢ ص١٧٥وما بعدها ، وخزانة الأدب : ج١ ص١١١وما بعدها)

الاستعارة المرشحة : وهي من متعلقات الاستعارة التصريحية ؛ إذ يذكر فيها ما يناسب المستعار منه أو المشبه به .

الاستعارة المجردة : وهي من متعلقات الاستعارة المكنية ؛ إذ يذكر فيها ما يناسب المستعار له أو المشبّه .

الاستعارة المطلقة : وهي ذكر المشبه أو المشبه به من دون ترشيح أو تجريد مع استيفاء القرائن ، أو ما ذكر فيها ما يناسب الاثنين ، والترشيح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بادعاء أن المشبه عين المشبه به ، ومن ثمّ يأتي بعده الاطلاق ثم التجريد .

<u>الاستعارة المكنية</u>

وهي إحدى أنواع المجاز الاستعاري ؛ إذ يكون المشبّه فيها حاضرا مع غياب المشبّه به إلا من لوازمه أو قرائنه ، وتسمى أيضا الاستعارة بالكناية [٤٤]. (ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ج١ ص١٤٥ ، وفنون بلاغية : ١٣٢) ، ويؤتى بها لتحقيق بعض الأغراض منها : تجسيد القضايا المعنوية واظهارها للحس في قالب مادّي ملموس ، ومنها أيضا : تشخيص الجمادات وبث الحياة فيها ومنحها الحركة بشتى مظاهرها [٤٥](ينظر : البديع : ٤) .

من ذلك قوله عليه السلام في الدّعاء الأوّل – في الحمد – : **((حمدًا يُضيءُ لنا ظُلماتِ البرزخِ ، وتَسهلُ به علينا سُبلُ البعثِ ، وتُشرِقُ به منازلُنا عند مواقفِ الأشهادِ))** [٤٦](الصحيفة : ٢٨٨)، شبّه الحمد بالسّراج الذّي تنجلي به الظلمة عند الحلول في القبر ، ويجعل محالّنا في الموقف مشرقة به ، وهو من الاستعارة المكنية لغياب المشبه به (السراج) ، وقد دلّت عليه القرينة المتمثّلة بالفعل (يُضيء) ، وأمّا المشبّه فقد ذكر وهو الحمد ، والاستعارة مرشحة لذكر ما يناسب المستعار منه (تسهل ، وتشرق) .

ومنها قوله عليه السلام في الدّعاء نفسه : **((والحمد لله الذي ركّب فينا آلات البسط ، وجعل لنا أدوات القبض ..... وهو بنا عالم قبل الايتمار والانزجار ، فخالفنا طريق أمره وركبنا متون**

زجره))[٤٧] (الصحيفة : ٢٩٠) فقد شبّه المسالك الوعرة البعيدة عن السّراط المستقيم بالمطيّة بقرينة (متون) وركوب ، فـ (المطيّة) مشبّهٌ بها ولم تذكر وإنّما ذكر المشبه وهو (متون الزّجر) ، وهي استعارة مطلقة .

وقال أيضا في موضع الصلاة على النّبي "صلى الله عليه وآله" من الدّعاء نفسه : **((اللهم فصلّ على محمد أمينك على وحيك ، ونجيبك من خلقك ، وصفيّك من عبادك ، إمام الرّحمة ، وقائدِ الخير ، ومفتاح البركة))**[٤٨] (الصّحيفة : ٢٩٤) ، أي أنّ البركة لم تنفذ إلى الأمة إلا بوجوده "صلى الله عليه وآله" ، فنحن ننعم بفيض ما أعطاه الله لرسوله من الرّحمة والخير والبركة . فلفظ البركة هو المشبّه ، والمشبّه به غائب لم يصرّح بلفظه وإنّما دُلّ عليه بالقرين وهو المفتاح كأنّما البركة مدينة لها أبواب ، ولم يظهر ما يناسب أحد طرفي الاستعارة فهي بذلك استعارة مطلقة .

وفي الدّعاء الثالث قال عليه السّلام : **((اللهم إنّا نعوذ بك من هيجان الحرص ، وسورة الغضب .....))**[٤٩] (الصحيفة : ٣٠٢) شبّه عليه السّلام ما استعاذ منه وهو البخل بشيء ثائر ، لم يذكره وإنّما ذكر قرينه (هيجان) وقد يكون ما قصده هو وحش ثائر ، أي أنّ المشبه هو (الحرص) والمشبه به شيء ثائر غائب حاضر القرينة ، وهي استعارة مطلقة أيضًا .

وفي الدّعاء الرّابع قال : **((اللهم إنّك من الضّعف خلقتنا ، وعلى الوهن بنيتنا ، ومن ماء مهين ابتدأتنا ، فلا حول لنا إلّا بقوتك ..... فأيّدنا بتوفيقك .... واعمِ أبصارَ قلوبنا عمّا خالف محبّتك....))** [٥٠](الصّحيفة : ٣٠٦) لم يقل أبصارنا فينسب الرؤية للضمير فتكون رؤية حقيقية ، وإنما اسندها للقلوب ، فجعل القلب مبصرا مجازا على جهة الاستعارة ، والمراد البصيرة . فالعبد مع ما يحوطه من ضعف ووهن ومهينية خلقا وبنيانا وابتداء فإنّه يعمد إلى ما ينهاه عنه ربّه فيخالف أوامره ، وكان لزامًا على العبد أن يتذكر خالقه وأن لا حول له ولا قوة إلا بالله ، فمنه عزّ وجل يُطلب ترك الموبقات والابتعاد عنها والتوفيق والهداية إلى كلّ ما فيه الصلاح.

ومن جهة الاستعارة فالقلوب مشبّه والانسان مشبّه به ؛ لم يذكره ولكن أشار إليه بقرينة الإبصار ، وهي استعارة مطلقة أيضًا .

وفي الإقالة قال عليه السّلام – وهو من الدعاء التاسع – : **((اللهمّ اكسر شهوتي عن كلّ محرم ، وازو حرصي عن كلّ مأثم ....))**[٥١] (الصّحيفة : ٣١٥) ، فالشهوة هنا كأنّها شيء من زجاج طُلبَ من

الرّبّ كسرها ؛ فلفظ (شهوتي) مستعار له ، والمستعار منه شيء من زجاج غير مذكور وإنّما أُشير إليه بقرينة من قرائنه وهي الكسر ، والاستعارة مكنية مطلقة .

وفي موضع آخر من الدّعاء نفسه قال : **((وإنّ طاعتي لا تنهض بسُخطكَ...))**[٥٢] (الصّحيفة :٣١٧) ، فالمستعار له في هذه العبارة هو الطّاعة شبّهها بكائن حي بدليل القرينة (ينهض) ، أي أنّه طالما كنت يا ربّ ساخطًا عليَّ فإنّ طاعتي لا يمكنها أن تستوي أو أظنّها لا تقبل بعدلك ، وهي من الاستعارة المطلقة .

وفي الإخلاص والطّلب إلى الله – من الدّعاء العاشر– قال : **((وقتلتُ مسألتي عمّن لم يستغنِ عن فضلك....))**[٥٣] (الصّحيفة : ٣١٩) ، فهو لم يطلب من أحد حاجة إلّا من الله عزّ وجل ؛ إذ يعلم أنّ الخلق جميعًا محتاج إليه ، فعبّر بما هو أجزل لفظًا وأعمق معنى ؛ فشبّه المسألة وطلب الحاجة – المستعار له – بكائن حي – المستعار منه – وذكر لازما من لوازمه وهو القتل ، من دون أن يشير إلى ما يناسب كلا طرفي الاستعارة ليجعل منها استعارة مطلقة .

ومن الدّعاء الحادي عشر قال : **((اللهمّ افرش لي مِهادَ رحمتك ،وأوردني مشرع كرامتك ، واحللني بحبوحة جنتك))**[٥٤] (الصّحيفة : ٣٢١ – ٣٢٢) ، المهاد هو الفراش الوثير ويراد به هنا المكان الصالح ، ومشرع أو شريعة تعني المنهل أو مورد الماء ، ويراد بها الأعمال الصالحة ، بمعنى أنّه عليه السلام شبّه الرّحمة – المستعار له – بالمكان الصّالح – المستعار منه – ، والكرامة – المستعار له – شبّهها بالماء العذب – المستعار منه – وقد دلّت القرائن على ما تضمر الألفاظ ، فالفعل (افرش) قرين (المهاد) ، والفعل (أوردني) قرين (مشرع) وكلا الاستعارتين مطلقة تخييلية [٥٥].

وفي الإقالة من الدّعاء الخامس عشر ؛ قال عليه السّلام : **((اللهم وقد أشرف على خفيات الأعمال علمك . وانكشف كلّ مستور عند خُبرك....))** [٥٦] (الصّحيفة : ٣٢٩)، شبّه العلم بكائن عاقل يشرف ويطلع على الخفيات من الأعمال وهو من الاستعارة المكنية المجرّدة لذكر ما يناسب المشبه به وهو كشف المستور بوصفه – أي المشبّه به – مطلع على الخفيّات ؛ فالعلم مستعار له والكائن العاقل هو المستعار منه ، بقرينة الاشراف.

الاستعارة التصريحية

وهي أن يذكر فيها المشبّه به من غير ذكر المشبّه إلّا قرينته [٥٧].(ينظر : مفتاح العلوم ١٧٦ : ومعجم المصطلحات البلاغية : ج١ ص١٥٥)

منها قوله عليه السّلام في الدّعاء التّاسع : **((فاجعلني أسوة من قد انهضته بتجاوزك عن مصارع الخاطئين ، وخلصته بتوفيقك من ورطات المجرمين ...))** [٥٨](الصّحيفة : ٣١٨) فالورطة هي الوحل تقع فيه الأغنام فلا تستطيع الخلاص منه[٥٩] ، ويراد بها هنا الهلاك ، شبّه بها أفعال المجرمين ، فالورطات مستعار منه والمستعار له هو الهلاك ، أمّا الاستعارة فإنّها مطلقة .

وفي الإقالة من الدّعاء الخامس عشر ؛ قال عليه السّلام وهو يصف النار **((وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها ، ومن حيّاتها الصّالقة بأنيابها ، وشرابها الذي يقطّع الأمعاء))** [٦٠](الصّحيفة : ٣٣٤) ، فقد شبّه لهب النّار وشرارها المهول وهو يستعر حرارة بالعقارب والحيّات الفاغرة أفواهها العظيمة شكلًا وأثرا ، وكأنه عليه السّلام يستحضر قوله تعالى : **((إنّها ترمي بشرر ، كالقصر ، كأنّه جمالات صفر))** [٦١] (المرسلات : آية : ٣٢)، فشرر جهنّم في التعبير القرآني عظيم كالبناء المشيّد بارتفاعه وعظمه ؛ فهو – أي الشرر – مهول مخيف لونًا وعظمةً وأثرًا .

والمستعار له في هذا النّص من الدّعاء هو (شرر النّار) والمستعار منه هو (العقارب والحيّات) ؛ والاستعارة هنا مرشحة ؛ إذ ذكر المستعار منه مع متعلقاته وهي : الفاغرة أفواهها ، والصّالقة بأنيابها . ولعلّ المراد هو العقارب والأفاعي حقيقة لا مجازًا – والله أعلم – .

وفي ذكر التّوبة من الدّعاء الحادي والعشرين ، قال عليه السّلام : **((هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب ، وقادته أزمة الخطايا ، استحوذ عليه الشّيطان فقصّر عمّا أمرت به تفريطًا ، وتعاطى ما نهيت عنه تغريرًا .... حتى إذا انفتح له بصر الهدى ، وتقشّعت عنه سحائب العمى ، احصى ما ظلم به نفسه ...))** [٦٢](الصّحيفة : ٣٥٩ – ٣٦٠) ، فالمراد بالعمى هو الضلالة ، فالضال عن دينه كالأعمى كلاهما لا يستدل سبيلًا ، ولكنّها لم تكن ضلالة بالمعنى الشائع ، بل هي سحائب من العمى . فالضلالة مستعار له ولم تذكر بل عرفت بالقرينة السياقية من العبارة التي تقدّمت (انفتح له بصر الهدى) ، فالهدى لا يقابله إلّا الضّلال مثلما البصر فإنّه يقابل العمى ، فغدا التقابل والمجاز متناسقين دقيقين ؛ إذ شبّه الهدى في تلك العبارة المتقدمة بكائن يبصر انفتحت عيناه بعد أن تغشتهما عتمة

وظلمة ، ثمّ جاءت العبارة الثانية (وتقشّعت عنه...) متساوقة متناسقة معها ولكنّها أبدت المستعار منه وهو العمى وأخفت المستعار له وهو الضلالة ، فهي تصريحية مطلقة .

ومنها قوله عليه السّلام في دعائه إذا ظُلم : **((قد علمتَ يا إلهي ما نالني به فلان ابن فلان ..... اللهم فخذه عن ظلمي بعزتك ، وافللْ حدّه عنّي بقدرتك))**[٦٣] (الصّحيفة : ٣٧١) ، فقد شبّه القوة – المستعار له – بالسّيف – المستعار منه – وقد اكتفى بذكر القرائن وهي (افلل) والفلول من متلازمات السيف حينما ينثلم أو ينكسر ، ويحصل ذلك إذا ضرب بما هو أقوى منه ، فالاستعارة مرشّحة . أمّا قرينة المستعار له فلم يصرّح بها ، وإنّما دلّ عليها سياق النّص ، فالسيف لا يكون إلّا بيد مقاتل فهو دليل القوة .

ومنه قوله عليه السّلام في الدّعاء السّادس والثلاثين : **((اللهمّ حلّني بحلية الصّالحين ،وألبسني زينة المتّقين ، في بسط العفو ، وكظم الغيظ ..... وخفض الجناح...))** [٦٤](الصّحيفة : ٤٢١) ، فقد شبّه صفات الصّالحين والمتّقين مثل العفو وكظم الغيظ وإصلاح ذات البيّن شبهها بالحلية واللباس يحلّى بهما ويرتديهما ، وهي استعارة مجرّدة ؛ لذكر ما يناسب المستعار له ، مثل : بسط العفو ، وكظم الغيظ . وفي هذا النّص نكتة بلاغية لافتة للذهن ، متمثلة بتداخل الاستعارات ، فقد استعار للتواضع لفظ الجّناح وذلك أنّ المتواضع لا يشمخ بأنفه ولا يسمق برأسه منحنيًا للنّاس كمثل جناح الطّائر ، فغدت الاستعارة في هذا الموضع استعارتين ، المستعار له فيها صفات الصّالحين والمتّقين ، والمستعار منه : حلية ، لباس ، ثمّ جاء باستعارة أخرى لأحد لوازم المشبّه أو المستعار له وهو التّواضع فاستعار له الجناح.

الخاتمة

لقد تبيّن لي ممّا تقدّم أنّ أدعية الصّحيفة السّجادية – على أنّها غنيّة عن التّعريف – أدعية لم تكن للتزكية والتّهذيب فقط أي أنّها لم تقتصر على الجانب الدّيني فحسب ، وإنّما هي نصوص جزلة بل فريدة بما فيها من الصور الأدبية المتنوعة فضلا عن الصور الدينية والتّربوية ، وما ركزنا عليه من الجانب البياني المجازي في هذا البحث المتواضع تزخر به الصحيفة حتى غدا نسجا متناسقا راقيا ، ففي المجاز المرسل تنوعت العلاقات المتواشجة بين معاني الألفاظ المجازية والأصلية ، بين الجزئية والمسببية واللزومية والحالية وغيرها . وكذلك في الجانب الاستعاري ؛ فإنّنا نجد معظم الاستعارات

سواء المكنية أو التّصريحية جاءت مقترنة الطرفين – مضاف ومضاف إليه – لتعطي قوة في التلازم بن المشبّه والمشبّه به فتتناثر المعاني منتقلة ممّا وراء الألفاظ والتّراكيب إلى حواس المتلقي ، ممّا يجعله متفاعلًا متهاجسًا معها وكأنّها تتحدّث بلسان حاله .

الهوامش:

[١] - ينظر : الصّحيفة : ١٤ .
[٢] - ينظر : لسان العرب لابن منظور : جوز .
[٣] - ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب : ج٣ ص١٩٣ .
[٤] - ينظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ج٢ص٣٦ .
[٥] - ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي : ١٧٢ .
[٦] - ينظر : الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ٢٠٥ .
[٧] - البديع لابن المعتز : ٢٢ .
[٨] - ينظر : ينظر : حسن التوسل للحلبي : ١٣١وما بعدها ، والإيضاح : ٢٢٨ ، وعروس الأفراح : ج٢ ص١٧٥وما بعدها ، وخزانة الأدب للحموي : ج١ ص١١١وما بعدها .
[٩] - ينظر : مفتاح العلوم : والإيضاح : ٢٠٧ وما بعدها ، وعروس الأفراح : ج٢ص١٣٣وما بعدها .
[١٠] - الصحيفة : ٢٩٩ .
[١١] - المصدر نفسه : ٣٤٩ .
[١٢] - ينظر : الصحيفة : ٣٨٠ .
[١٣] - النّساء : آية : ٩٢ .
[١٤] - البلد : آية : ١٢ .
[١٥] - الصّحيفة : ٣١٩
[١٦] - المصدر نفسه : ٣٧٨
[١٧] - ينظر : الإيضاح : ٢٠٨ .
[١٨] - الصّحيفة : ٤١٩ .
[١٩] - ينظر : عروس الأفراح : ج٢ ص١٣٧ .
[٢٠] - ينظر : الإيضاح : ٢٠٨ .
[٢١] - الصحيفة : ٣٠١ .
[٢٢] - الصحيفة : ٣٠٤
[٢٣] - الصحيفة : ٤٠٣ .
[٢٤] - المصدر نفسه : ٤٠٣ – ٤٠٤ .
[٢٥] - المصدر نفسه : ٤٠٤ .
[٢٦] - المصدر نفسه : ٤٢٨ .
[٢٧] - الصحيفة : ٣٠١ .
[٢٨] - المصدر نفسه : ٣٥٧ .
[٢٩] - المصدر نفسه : ٤١٩ .
[٣٠] - ينظر : معم المصطلحات البلاغية : ج٣ ص٢١٥ .
[٣١] - الصحيفة : ٣٠٤
[٣٢] - الصحيفة : ٣٩٣ – ٣٩٤ .
[٣٣] - الصّحيفة : ٤٥٢-٤٥٣ .
[٣٤] - ينظر : الايضاح : ٢٠٩ .
[٣٥] - الصّحيفة : ٤٥٢-٤٥٣ .
[٣٦] - الصحيفة : ٣٢١ – ٣٢٢ .

[٣٧] ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : ج٣ ص٢١٤ .
[٣٨] - الصحيفة : ٣٧١ .
[٣٩] - ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : ج٣ ض٢٠٨ .
[٤٠] - الصحيفة : ٣٩٨ .
[٤١] - الصّحيفة : ٤٢٨ .
[٤٢] - مريم : ٩٤ .
[٤٣] - ينظر : ينظر : حسن التوسل : ١٣١وما بعدها ، والإيضاح : ٢٢٨ ، وعروس الأفراح : ج٢ ص١٧٥وما بعدها ، وخزانة الأدب : ج١ ص١١١وما بعدها .
[٤٤] - ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ج١ ص١٤٥ ، وفنون بلاغية : ١٣٢ .
[٤٥] - ينظر : البديع : ٤ .
[٤٦] - الصحيفة : ٢٨٨
[٤٧] - المصدر نفسه : ٢٩٠ .
[٤٨] - الصّحيفة : ٢٩٤ .
[٤٩] - المصدر نفسه : ٣٠٢ .
[٥٠] - المصدر نفسه : ٣٠٦ .
[٥١] - الصّحيفة : ٣١٥ .
[٥٢] المصدر نفسه : ٣١٧ .
[٥٣] - المصدر نفسه : ٣١٩ .
[٥٤] - المصدر نفسه : ٣٢١ – ٣٢٢ .
[٥٥] - ينظر : الصحيفة : ٣٢١ هامش (٦) .
[٥٦] - المصدر نفسه : ٣٢٩ .
[٥٧] - ينظر : مفتاح العلوم ١٧٦ : ومعجم المصطلحات البلاغية : ج١ ص١٥٥ .
[٥٨] - الصحيفة : ٣١٨ .
[٥٩] - ينظر : لسان العرب : ورط .
[٦٠] - الصّحيفة : ٣٣٤ .
[٦١] - المرسلات : آية : ٣٢.
[٦٢] - الصحيفة : ٣٥٩- ٣٦٠ .
[٦٣] - المصدر نفسه: ٣٧١ .
[٦٤] - المصدر نفسه : ٤٢١ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

– الاتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) – القاهرة ، ١٢٦٨هـ.

– الايضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) – وضع حواشيه إبراهيم شمس الدّين – بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

– البديع – ابن المعتز(ت٢٩٦هـ) – لندن ، كراجكوفسكي ، ١٩٢٥م .

– حُسن التوسل إلى صناعة التّرسل – شهاب الدّين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ) – تحقيق ودراسة : أكرم عثمان يوسف – بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

- خزانة الأدب وغاية الأرب – الشيخ تقي الدّين أبو بكر الحجة الحموي(ت٨٣٧هـ) – شرح عصام شعيتو – بيروت ، مكتبة الهلال ، ط١ ، ١٩٨٧م .
- الصّحيفة السّجّادية – رواية أبي علي محمد بن همّام بن سهيل الاسكافي (ت ٣٢٢هـ) عن علي بن مالك عن الإمام زين العابدين "عليه السّلام" – تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي – ط١ ، مطبعة نكارش ، إيران ، قم ، ١٤٢٢هـ .
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح – الشّيخ بهاء الدّين السّبكي (ت ٧٧٣هـ) – تحقيق د . عبد الحميد هنداوي – ج٢ ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .
- فنون بلاغية – د. أحمد مطلوب – بيروت ، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م .
- لسان العرب – ابن منظور (ت٧١١هـ)– .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – الدكتور أحمد مطلوب – ج٣ ، المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .
- مفتاح العلوم – السكاكي (ت ٦٢٦هـ)– القاهرة ، ١٩٥٦م ، ١٩٣٧م .